في القديم والجديد

كلمة وكليمة(١)

للرافعي فقيد اللغة والأدب

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

... إن الخلاف بين ما يسمونه القديم والجديد ليس بخلاف على جديد ولا قديم ، ولكن على ضعف وقوة ؛ فإن قوماً يكتبون وينظمون ، ولكن لم تقسم الفصاحة والبلاغة على مقدار ما يطيقونه من ذلك ، ولا يتسع الصحيح لآرائهم في اللغة والأدب ؛ وقد أرادوا أن يسموا كل ذلك من حيث ضاقوا ، ويطاولوه من حيث تقاصروا ، وينالوه من حيث عجزوا ، فظنوا بالأمر ما يظن إنسان يمشي على الأرض ويعرف أنها تدور فيؤول ذلك بأنه هو مدير الأرض على محورها بحركة قدميه ... نحن نقول : أسلوب ركيك ، فيقولون : لا بل جديد ! ! ونقول : لغة سقيمة ، فيقولون : بل عصرية ! ! ونقول : وجه من الخطأ ، فيقولون : بل نوع من الصواب ! !

* * *

... إننا لا نعرف قديماً محضاً ولا جديداً صرفاً ، ولا نقيم وزن أحدهما إلا بوزن من الآخر إذا أردنا بهما سنة الحياة ، وأنت لم تجد حياً منقطعاً مما وراءه ؛ بل أنت ترى الطبيعة قيدت كل حي جديد إلى أصلين من القديم لا أصل واحد هما أبواه ، فنهما يأتي ، ومنهما يستمد ، وهما أبداً فيه وإن كان على حدة

* * *

... المذهب القديم هو أن تكون اللغة لا تزال لغة العرب في أصولها وفروعها ، وأن تكون هذه الأسفار القديمة التي تحويها لا تزال حية تنزل من كل زمن منزلة أمة من العرب الفصحاء ، وأن يكون الدين العربي لا يزال هو هو كأنما نزل به الوحي أمس ، لا يفتننا فيه علم ولا رأي ، وأن يأتي الحرص على اللغة من جهة الحرص على الدين ، إذ لا يزال منهما شيء قائم كالأساس والبناء لا منفعة فيهما معاً إلا ببقيامهما معاً ...

* * *

... سألت بعضهم ما هو هذا الجديد الذي تحامون عنه ؟ قال : هو ما يكتب به في الصحف . قلت : فإن فيما يكتب الضعيف والساقط والمرذول ثم ما هو إلى الجزالة والفصاحة ، ثم ما يلتحق بجيد الكلام ، فأي هذه تريد ؟ وأيها ليس قياساً من أصله العربي المعروف ؟ أفتجعلون النقص مذهباً من كماله ثم لا تكتفون بخطأ واحد وتدّعون أن الكمال في نفسه يجب أن يعدّ مذهباً من النقص ؟ أم الجديد هو ما يكتب به في الصحف ، تعني لأنك أنت تكتب في الصحف ... ؟

* * *

التجديد في الأدب إنما يكون من طريقتين : فأما واحدة فابداع الأديب الحي في آثار تفكيره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان ، وأما الأخرى فابداع الحي في آثار الميت بما يتناولها به من مذاهب النقد المستحدثة ، وأساليب الفن الجديدة . وفي الابداع الأول إيجاد ما لم يوجد ، وفي الثاني إتمام ما لم يتم ، فلا جرم كانت فيهما معاً حقيقة التجديد بكل معانيها ، ولا تجديد إلا من تمت ، فلا جديد إلا مع القديم ...

* * *

لم أقرأ إلى يوم الناس هذا في معنى هذا « الجديد » كلاماً يبلغ أن يصور منه برهان أو تؤلف منه قضية صحيحة ، وكل

---

(١) تحت هذا العنوان كان المرحوم الأستاذ الرافعي ينشر على قراء الرسالة الكرام كلمات جامعة تدور على أغراض مختلفة من الأدب والدين والأخلاق والاجتماع ، فكان موقعها في النفوس موقع الاعجاب البالغ والتقدير الكبير لكل آثار الرجل حتى أنها ترجمت إلى الفرنسية ونشرت في صحف الفوم هناك ...

ولما كنا قد تتبعنا الرافعي في كل ما كتب ، واستوعبنا آثاره بالبحث والنظر ، فقد رأينا أن نصل ما انقطع ، فنقدم للقراء ما نعرفه للرجل من مثل تلك الكلمات التي كان يرسلها عليه رحمة الله ؛ إلا أننا آثرنا أن نزجيها عقوداً كل عقد ينتظم حباته سلك من المعنى المشترك ، والغرض المتفق ، على أننا لسنا على رأي الرجل في كل ما ننقل عنه ، وإنما نريد أن نقرب للقراء آراءه ، وأن نعف بهم على تحمل فلسفته ، والله نسأل أن يجعله عملا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتغمد الرافعي بفيض رحمته العميم ؟ (فهمي)

أقاويلهم ترجع إلى ثلاثة أبواب : جديد ، ومجدَّد ، ولنجدد . فأما الأول فهو عندهم تقبيح القديم والزراية عليه والتنفير منه ، وأما الثانى فهو العائب والشاتم والمتهزّئ ، وأما باب قولهم « ولنجدد » فهو لا يزال إلى الآن مقصوراً على قول كل واحد منهم للآخر : « ولنجدد » ...

* * *

... أنا والله لا أعرف أهؤلاء القوم يجدون أم يسخرون ! ولكن الذى لا أجهله أن فى بعض الناس أرواحاً وأمزجة انطبعت فيها صور الاجتماع الأوربى بما يحوى من فضائله ورذائله لأن هذه نتائج تلك ما منها لهم بد — فتريد هذه النفوس الرقيقة الجميلة ! ! أن تنسخ الرسم الاسلامي الشرقى وتقر كل ذلك الأوربى فى مكانه . تلك هى نزعة التجديد . . . ! !

... لقد رأيت لأصحاب « المذهب الجديد » أصلا فى تاريخ الأدب العربى كانت جذوره ممن انتحلوا الاسلام وهم يدينون بغيره ، وممن كانوا يدينون به وتزندقوا فيه ، حتى قال الجاحظ فى بعض رسائله يعنى هؤلاء وأولئك : « فكل سخنة عين رأيناها فى أحداثنا وأغبيائنا ! ! فمن قبلهم كان أولها »

ورحم الله أبا عثمان ، إن التاريخ ليعيد نفسه اليوم « بسخنة عين جديدة » ...

* * *

... إنهم إن أرادوا « بالمذهب الجديد » أن يكتب الكاتب فى العربية منصرفاً إلى المعنى والغرض تاركا اللغة وشأنها متعسفاً فيها آخذا ما يتفق كما لا يتفق ، وما يجرى على قلمه كما يجرى ، معتبرا ذلك اعتبار من يرى أن مخه بلا غلاف من عظام رأسه ، وأن عظام رأسه كعظام رجليه ! وأن أصابع قدميه كهداب عينيه ! ! وأن مطاف التركيب هو مطلق النظام والمناسبة ! ! وأن اللغة أداة ولا بأس بالأداة ما اتفق منها ، ولا بأس أن يعزع الجراح مزعا من جلد العليل بأسنانه أو بأظافره أو بنصل الفأس ... ما دامت معقمة وما دام ذلك بعينه هو فعل المبضع لا يزيد المبضع عليه إلا فى الدقة . .

إن أرادوا بهذا وأشباهه ما يسمونه المذهب الأدبى الجديد قلنا : لا ، ثم لا ، ثم لا ، ثلاث مرات . . .

* * *

أظن أن اللغة العربية لن ترتفع منزلتها عند هؤلاء الحق المجددين إلا إذا أصبحت لغة فرنسا أو انجلترا ... فيومئذ يكون الجاحظ جاحظاً بقوة الأسطول ، وعبد الحميد بقوة الجيش ، وابن المقفع بسلاح الطيران ، إذ هم وأمثالهم أسلحة التاريخ التى يقاتل بها مجد الأمة ليغلب وينتصر ، وهذا بعينه هو من دليلنا على أن هؤلاء الخمسة أو الستة المجددين هم خمسة أو ستة مجانين فى أمراض العقل الاجتماعى . . .

« اختارها وأخرجها »

محمد فهمى عبد اللطيف

لجنة التأليف والترجمة والنشر

محاورات أفلاطون

أوطيفرون . الدفاع . أفريطون . فيدون

وهى المحاورات السقراطية الأربع التى أنشأها أفلاطون بفنه الرائع وفكره العميق ليصور بها أستاذه سقراط فى مختلف نواحيه

ترجمها عن الانجليزية الأستاذ

زكى نجيب محمود

وقد أتمت اللجنة طبعها طبعاً متقناً فى كتاب على ورق صقيل وحلى بكثير من الصور ويقع فى أكثر من ثلثمائة صفحة من الحجم المتوسط

ويطلب من اللجنة بشارع الكردامى رقم ٩ بعابدين

ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد